المرجع في علم المخطوط العربي
(مراجعة علمية نقدية)

خالد فهمي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

ملخص

ينتمي هذا البحث إلى المراجعات العلمية النقدية، ويتناول بالمعالجة: مادة الكتاب، وانتماءه المعرفي، وقيمته، وبناءه، ومنهجه، ومصادره، ومنهجية التوثيق فيه، وتحليلًا لخطاب وظائفه في بنية العلم المعاصر؛ بغية تقويمه، والاستدراك عليه.

وهذا كله راجع إلى الدلالة على مواطن الإفادة منه، وتيسير سبل توظيفه في توطين العلم بعلم المخطوط العربي في بنية الثقافة العربية المعاصرة، والارتقاء بمستوى الكتابات العربية في هذا الميدان المعرفي المهم.

وقد عكست ترجمة هذا الكتاب، كما بينت هذه المراجعة العلمية، قدرة اللسان العربي على الاستجابة للتعبير عن حقائق هذا المجال، والاستجابة لتنمية رصيد معجمه الاصطلاحي، كما عكست وعي المؤسسة التي أصدرته بطبيعة وظيفتها العملية في خدمة قضية المخطوطات، وعلومها.

وتمتعت هذه المعالجة النقدية باستصحاب النطاق التطبيقي، تمثيلًا على دعاواها وملحوظاتها التي علقتها على هذا العمل المرجعي الرائد.

تُعَدُّ المراجعات العلمية النقدية «بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبي - أعمالًا علمية في حد ذاتها»[١]؛ فضلًا عما تقدمه إلى مجالها المعرفي من تعميق لبحوثه، وقضاياه، ومسائله وتطوير لها.

وهذه المقالة نوع مراجعة علمية لكتاب (المرجع في علم المخطوط العربي)، لآدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، ومراجعة فيصل الحفيان، وإصدار معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م (٥٠٢ ص).

والمنجَز في هذا الباب قليل جدًّا؛ إنْ على مستوى الأدبيات الأساسية المتمثلة في الأعمال المرجعية في مصطلحية علم المخطوط العربي، وإنْ على مستويات المراجعات العلمية النقدية لهذه الأدبيات الاصطلاحية.

إن مراجعة المنجَز في هذين المسارين تكشف عن فقر المكتبة العربية، فلا يوجد من الأدبيات المرجعية/المعجمية الخادمة لمصطلحية علم المخطوطات سوى ما يلي:

أ. الترجمة العربية لكتاب آدم جاسك: تقاليد المخطوط العربي[٢].

ب. معجم مصطلحات المخطوط العربي، (قاموس كوديكولوجي) لأحمد شوقي بنبين[٣].

ج. نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي، لإبراهيم شبوح[٤].

(١) المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات العدد (٢) مايو سنة ١٩٩٨م مج٣ (١١/١).

(٢) تقاليد المخطوط العربي: (معجم المصطلحات)، ترجمة مراد تدغوت، ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ٢٠١٠م (٣٧١ص).

(٣) طبعة الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، (ط٣) سنة ٢٠٠٥م.

(٤) نشر ضمن أعمال مؤتمر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الثالث، لندن، ١٤١٨هـ=١٩٩٩م بعنوان: (صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية).

ولا يوجد من أدبيات المراجعات العلمية النقدية في المكتبة العربية سوى ما يلي:

أ. معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، وقيمتها الحضارية، لخالد فهمي[1].

ب.قراءة في معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي، لأحمد شوقي بنبين، وعبد الكريم العوفي[2].

وتعالج هذه المقالة أمرها في المطالب التالية:

١. المرجع في علم المخطوط العربي: مادته/ وانتماؤه المعرفي/ وقيمته.

٢. المرجع في علم المخطوط العربي: بناؤه ومنهجه.

أ. البنية الكبرى.

ب. البنية الصغرى.

٣. المرجع في علم المخطوط العربي: المصادر والتوثيق.

٤. المرجع في علم المخطوط العربي: مقالة في خطاب الوظائف.

٥. المرجع في علم المخطوط العربي: ملحوظات نقدية واستدراكات.

وفي ما يلي معالجة لهذه المطالب على الوِلاء والترتيب.



(١) نشرت أولًا في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع(٥٣٢)، ثم أعيد نشرها في كتاب (آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، للدكتور خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م (ص١١٠-١٢٠).

(٢) نشرت في مجلة (جذور) ع٤٢، النادي الأدبي الثقافي، بجدة، ١٤٣٧هـ= يناير ٢٠١٦م (ص٦٣-١٠٠).

١- المرجع في علم المخطوط العربي (مادته - وانتماؤه المعرفي - وقيمته)

١/١: مادة الكتاب

جاء هذا الكتاب في (٥٠٢ص) في النسخة المترجمة إلى العربية، وتكسَّرت على:

أ. مقدمة المؤلف، مسبوقة بقائمة للرموز والأشكال، ومقدمة للمراجع، وتصدير لمدير عام المنظمة.

ب. متن الكتاب، مقسمًا على حروف المعجم العربي بترتيبها المشرقي (أ، ب، ت، ث، إلخ)، في ثمانية وعشرين حرفًا.

ج. ملاحق الكتاب، وهي أربعة ملاحق: (الاختصارات العامة / أشكال الحروف العربية الرئيسة من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط / الدليل الببليوجرافي/ وصف المخطوط).

د. الرسومات البيانية (التقويم الإسلامي/ المسيحي / الحقب الإسلامية الرئيسة/ الأُسر الحاكمة الإسلامية الرئيسة).

هـ. قاموس مصطلحات إنجليزي عربي (صنعة المترجم).

و. المصادر والمراجع: (العربية/ الأجنبية).

وسوف يرد في المقالة الثانية هنا تحليل لهذه المادة من منظور التصنيف في البحث المعجمي والموسوعي.

والملحوظ أن هناك بعض الاختلافات بين نسختي الأصل والترجمة، فقد تركزت هذه الاختلافات في الأبعاد التالية:

أولًا- **التصرف**: لقد أسقط المترجم ملحق الآيات القرآنية، وقال (ص٤٣٩): «صنع المؤلف خمسة ملاحق، منها: ملحق خاص بالسور القرآنية مرتبة ألفبائيًّا... وقد رأينا الاستغناء عنه لعدم فائدته».

وهذا التصرف مستغرب من جهتين هما:

أ. طبيعـة المجال المعـرفي لنص الكتاب (المخطوط العربي / والتراث)، وهو مجال لا يحتفي بالكشافات والملاحق.

ب.طبيعة الملحق الذي أسقطه المترجم من نسخة الترجمة؛ ذلك أن الاعتماد على الكتاب العزيز مسألة مركزية في هذا العلم. ولعلي أذكِّر المترجم الكريم بأن آدم جاسك يقرر أنَّ الحضارة الإسلامية هي: «حضارة الكتاب، يقول في [تقاليد المخطوط العربي: البيليوجرافية (ص١٥)]: «الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب. الكتاب فيها ذو قداسة خاصة اكتسبها من الدين الإسلامي ذاته، وتحديدًا من كتاب هذا الدين (القرآن الكريم) الذي لا ينافسه كتاب آخر لدى العرب المسلمين»!

ثانيًا- الإهمال: لقد أهمل المترجم ترجمة بعض العناصر من واجهة الكتاب، وهذه العناصر تبعًا للنسخة الإنجليزية المعتمدة في الترجمة هي:

١. صفحة الشكر والامتنان = (قبل المقدمة) .Acknowledgement، وهو تقليد علمي في التأليف شائع في الغرب، انطلاقًا من أخلاق البحث العلمي.

وكان بالإمكان إلحاقه بآخر المقدمة، إن لم ير المترجم فائدة من إفراده، واستقلاله!

٢. قائمة الكتابة الصوتية = (بعد المقدمة) transliteration table

٣. ملحوظات أو تعليق على التمثيل الصوتي= (بعد المقدمة)Note on transcriptions

٤. الرسوم والخطوط (الموضحات) = (بعد المقدمة) illustrations and credits

إن هذه العناصر التي أهملت في الترجمة العربية مهمة جدًّا لمستعملي هذا المرجع، وهي ذات وظائف تمكن القارئ من الإحاطة بمجموعة أشياء، كما أنها مهمة في تحليل أنساق التأليف الغربي المعاصر الذي يحتفي بالقارئ، ويحتفي بمنظور المستعمِل الذي يحقق تيسيرات كثيرة.

٢/١: الانتماء المعرفي للكتاب

ينتمي هذا الكتاب، شأن كثير من الكتب الغنية عند فحص انتمائها المعرفي، إلى مجموعة من الانتماءات المعرفية، يمكن رصدها كما يلي:

أ. النوع التصنيفي.

جاءت الترجمة وقد حملت عنوان: (المرجع) والمرجع مصطلح علوي عام يطلق على أوعية المعلومات، أو هو جنس يندرج تحته أنواع متعددة.

وهذا الكتاب يكشف عند فحصه عن انتمائه التصنيفي إلى قطاع «المعاجم الموسوعية»، فهو معجم موسوعي، بدليل النظر إلى:

أ. بنائه وترتيبه، كما سيتضح في المقالة الثانية هنا.

ب.الغرض والوظيفة؛ إذ هو يستهدف إضاءة المداخل والتعليق عليها من منظور يستهدف التعليم والثقافة.

ج. استعمال الموضحات البصرية، من الرسوم والخطوط في التعليق على المداخل.

د. طول مادة التعليق على المداخل.

كما يكشف تحليل خطاب المقدمة عن انتمائه إلى نوع «الأدلة»، فهو «دليل للقارئ»، وهذا المصطلح هو المكافئ الأولى استعمالًا في الترجمة العربية لمصطلح (Avademecum for readers) الذي جاء عنوانًا جانبيًّا في الأصل الإنجليزي.

هـ الانتماءات المعرفية.

يصلح هذا المعجم أن ينتمي إلى الحقول المعرفية التالية:

أولًا: علم المخطوط العربي، وهو الانتماء المعرفي الأساسي بدليل عنوان الكتاب = (Arabic Manuscripts)، وبدليل خطاب المقدمة والمحتوى جميعًا.

ثانيًا: علم الخطوط القديمة. وهو الانتماء الموازي لعلم المخطوط العربي كما قرر آدم جاسك نفسه في المقدمة، حيث قال (ص١٩): إنه دليل يتضمن ظواهر من علم المخطوطات العربية وعلم خطوطها القديمة.

وهو صالح لأن ينتمي كذلك إلى مجموعة انتماءات أخرى فرعية تالية، من مثل:

أ. التاريخ الحضاري والثقافي العربي الإسلامي.

ب.الفنون التراثية العربية الإسلامية.

ج. أنظمة التأليف العربية التراثية.

٣/١: قيمة الكتاب

يستمد هذا المعجم الموسوعي أهميته وقيمته من عدة أمور هي:

أولًا: قلة أدبيات المجال المعرفي الذي ينتمي إليه، فالمكتبة العربية تعاني فقرًا حقيقيًّا في باب الأعمال المعجمية والمرجعية المختصة بمصطلحية علم المخطوط العربي.

ثانيًا: طبيعة المؤلف (آدم جاسك) المختص في هذا المجال، الذي أسهم في خدمته بأعمال ممتازة عرف بعضها طريقه إلى اللسان العربي، على ما نجده في:

أ. بحثه عن: الكبيكج، الذي ترجمه المرحوم عصام الشَّنْطي[1].

ب.تقاليد المخطوط العربي: معجم مصطلحات وببليوجرافية، الذي نقله إلى العربية مراد تدغوت، ومحمود محمد زكي.

ثالثًا: النسق التأليفي للمعجم الموسوعي هذا، وسهولة التعامل معه، إذ هو مرتب وفق النظام الألفبائي، وما يحتوي عليه من رسومات وخطوط أو موضحات بصرية تعين على تحصيل مادته.

(١) تراثيات، تصدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، العدد الثامن، يوليو ٢٠٠٦م، ص٨٧-٩٣.

رابعًا: تمتعه بالتوثيق والإحالة إلىٰ المصادر المعتمدة في الحقل المعرفي، وهذه الاستشهادات المرجعية تحقق عددًا من الوظائف المهمة معرفيًّا.

خامسًا: صدوره عن معهد علمي عريق في العناية بشؤون المخطوطات العربية دراسة وفهرسة وتدريبًا... إلخ.

إن هذه الأبعاد تجعل الحفاية بترجمة هذا الكتاب من باب تقدير قيمته أمرًا واجبًا تسهم به في توطين العلم بمسائل هذا الحقل في الثقافة العربية، مما يسهم - تبعًا - في تعميق دراستها وتطويرها.

٢- المرجع في علم المخطوط العربي (بناؤه ومنهجه)

بنىٰ آدم جاسك هذا المعجم الموسوعي/ أو هذا الدليل علىٰ المشهور في برامج التصنيف المعجمي بما هو فرع أصيل من فروع البحث المعجمي والموسوعي.

وجاء هذا المعجم الموسوعي وقد انتظمته بِنْياتٌ كبرىٰ، وصغرىٰ، شكَّلتا بناءه ومنهجه.

وقد جاءت **البنية الكبرىٰ** في هذا المعجم الموسوعي في ثلاثة أقسام متكاملة هي:

(٢/١) واجهة المعجم.

(٢/٢) متن المعجم.

(٢/٣) ملاحق المعجم.

وفي ما يلي تحليل لمكونات كل قسم من هذه الأقسام.

٢/١: واجهة المعجم

تمثل واجهة front matter أول ما يواجه عينَ المستعمل، وهذه الواجهة أو المقدمة هي التي تنهض بالوفاء بالعناصر التالية:

أ. بيان مكونات المعجم ومحتوياته.

ب. إرشادات الاستعمال.

ج. الغرض من تأليف المعجم، وبيان وظائفه.

د. بيان الرموز والاختصارات.

هـ. منهج ترتيب المداخل.

وهذه العناصر متفاوتة في الأدبيات التنظيرية، على ما نجده في:

كتاب هارتمان وجريجوري جيمس (ص٦٠).

dictionary of lexicography, London,1983 وكتاب أحمد مختار عمر [صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ١٩٩٨م (ص١٠٥)].

وقد تضمنت واجهة هذا المعجم العناصر التالية:

أ. بيان طبيعة الانتماء المعرفي للمعجم (في مصطلحية علم المخطوط العربي).

ب.قائمة بالرموز والاختصارات.

ج. الغرض من المعجم/ الدليل (ص١٩): «ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين».

د. بيان منهج ترتيب المداخل (ص٢٠): «ومن أجل إراحة القارئ وتيسير الوصول إلى المادة العلمية بسرعة فإنني قررت أن أرتب مادة الكتاب من المصطلحات والمفاهيم ألفبائيًّا».

هـ. بيان مميزات المعجم، وخصائصه من مثل اشتماله على نماذج من اللوحات والأشكال التوضيحية... إلخ (ص٢٠).

وبيان ببعض مصادر هذا المعجم (ص٢٠) يقول: «تتأسس المصطلحات العربية

التِّقْنية الواردة هنا على كتابي المذكور آنفًا: «تقاليد المخطوط العربي»... وملحقه... فكلاهما مجتمعان مع هذا الكتاب الحالي».

وقد أخلت الترجمة العربية بترجمة بعض مكونات واجهة هذا المعجم كما سبق أن قررتُ !

٢/٢: متن المعجم

متن المعجم أو جسمه هو الجزء الأساسي الذي ينصرف معنى المعجم إليه عند الإطلاق، وهو الجزء الذي يتكون من مكونين مركزيين هما:

أ- مداخل المعجم (مصطلحاته).

ب- التعليقات على المداخل (الشروح والتعريفات).

٢/٢/أ: مداخل المعجم وترتيبها: جاء المعجم بعد ترجمته في (٢٨) فصلًا على عدد حروف المعجم العربية بدءًا بالألف وانتهاء بالياء على ترتيب المشارقة: ويبدو عدم احترام هذا الترتيب للمداخل الفرعية المنضوية تحت مدخل علوي (ص٢٦٤).

وقد رتِّبت المداخل/ المصطلحات ترتيبًا ألفبائيًا مشرقيًا جذعيًا، أي وفق منطوق المصطلح في الاستعمال العلمي في حقل علم المخطوط العربي، من دون اللجوء إلى تطبيقات التجريد والرد إلى الجذور مع احترام «ال» في بنية المداخل الداخلية، وعدم احترامها في البداية، مع اضطراب، وهو ترتيب روعي فيه أمران:

أولًا: منهج تصنيف صاحبه الأساسي.

ثانيًا: طبيعة بعض المصطلحات التي دخلت إلى هذه المصطلحية من طريق الاقتراض من اللغات الأجنبية.

هذا فضلًا عن إرادة تحقيق التيسير على المستعملين، وهو أثر من آثار ما يعرف بتطبيقات منظور المستعمل الذي يحرص على توفير الوقت، وتوفير الجهد معًا.

وقد بلغت كثافة مداخل هذا المعجم (٣٥٠) مصطلحًا كما جاء في مقدمة المُراجع (ص١٠) الذي يقول: «بلغ عدد المصطلحات والمداخل خمسين وثلاثمئة مصطلح، وهو كم كبير يدل على التتبُّع والاستقصاء للغةِ علمِ المخطوط العربي».

٢/٢/ب: **التعليق على المداخل وشروح المصطلحات**: يمثل التعليق على المداخل وشروح المصطلحات الجزء المتمِّم لتصور متن المعجم، وهو الجزء الذي ينهض بتقديم المعلومات التي تشكل ماهيات المصطلحات، أو التصورات عنها.

وجاء ترتيب معلومات ما تحت المداخل في الغالب وفقًا لما يلي:

أ. الإحالة إلى المصطلحات المتداخلة مع المدخل موضع التعليق عليه.

ب. بناء التعليق في صورة مقالة موجزة كثيفة، تتضمن ما يلي:

- معلومات عن تاريخ المدخل، وتطور ظهور مفهومه.
- تعريف المدخل ببيان سماته الدلالية الشارحة والمميزة له.
- بيان مكونات المدخل إن كان من المواد التي تتكون من عناصر، ومكونات.
- بيان الوضع الراهن للمدخل موضع التعريف.
- إلحاق رسومات أو صور موضحة للتعريف القولي.
- توثيق معلومات ما تحت كل مدخل، في داخل المتن في النسخة الإنجليزية، ونقل المترجم في الهوامش السفلية front notes في الترجمة العربية!

مَلاحظ

وقف حديث آدم جاسك عن منهج ترتيب المداخل عند حدود كونها مرتبة وفق النظام الألفبائي - وكذلك وقف حديث مراجع الترجمة العربية عند حدود قوله: (ص١١أ): «إعادة ترتيب المادة بحسب الألفبائية العربية»، وهو الترتيب الجذعي الذي راعى منطوق المصطلحات في الاستعمال من دون اللجوء إلى تقنيات الرد على الجذور أو التجريد.

وهو ما يفهم منه احترام توالي حروف المعجم العربية من دون النظر إلى صنف المصطلح من منظور الأنماط الشكلية، بمعنى غضِّ النظر عن نمط المصطلح شكليًّا، سواء جاء على صورة اختزالية اختصارية أم على صورة كلمة بسيطة أم على صورة مركَّب معقد.

وإن كان الأمر كذلك فقد لوحظ نوع ترتيب يخالف هذا المنهج، من مثل:

ورود (ربع تجليد، ص٢٣٩/ قبل الرَّبْعات والصناديق، ص ٢٣٩) وتطبيقات النظام الألفبائي، تقضي بورود: الرَّبْعات والصناديق قبل: رَبْع تجليد!

وورود المدخل (الصفحتان المتقابلتان المزخرفتان، ص/ ص٢٧٤/ قبل المدخل: الصفحتان المتقابلتان، ص/٢٧٤) والصواب العكس!

كما لوحظ اضطراب في التعامل مع «ال» التي للتعريف في ترتيب المداخل ، إذ كان من الواضح عدم اعتبارها إن وقعت في أول المدخل، وهو ما يفسر، وقوع المداخل التالية في فصل الدال المهملة: الدس/ الدلالات/ والدمغة/ والدواة (ص٢٣٥).

ولكن إن وقعت في درج المصطلح فإن التعامل معها جاء مضطربًا، آخذًا الشكلين التاليين:

أ. عدم الاعتبار، أي إسقاطها من اعتبارات الترتيب، وهو ما يفسر لنا ورود المداخل التالية على الولاء والتتابع : (ص٢٩٦):

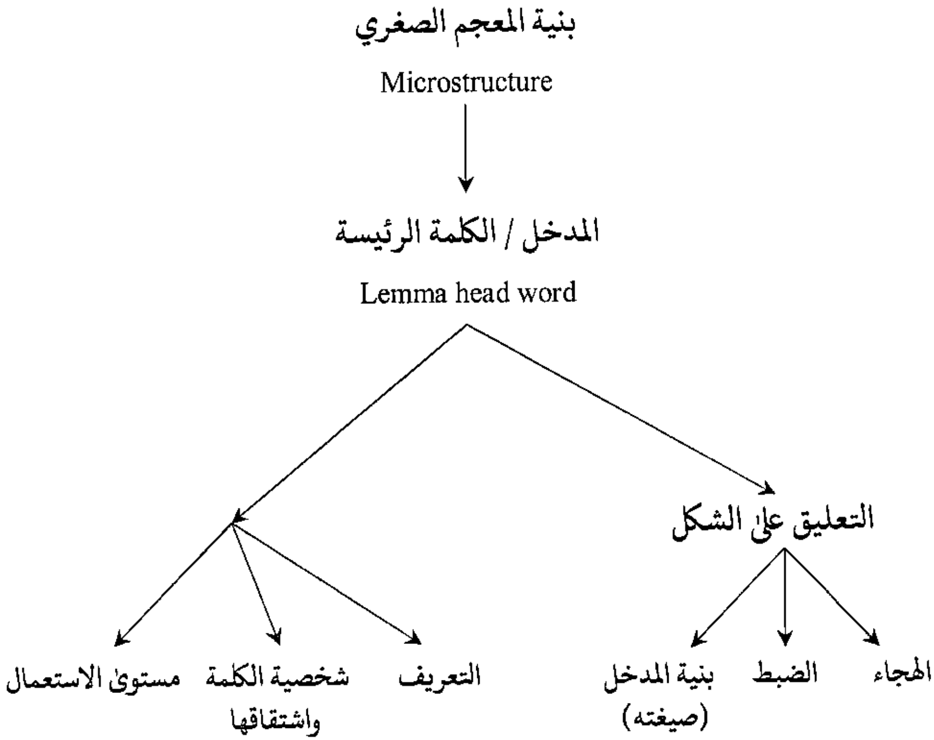
- علم تاريخ الكتب/ علم التعمية/ علم حفريات الكتاب، إذ لو اعتبرت «ال» في الترتيب لتقدم المدخل (علم التعمية) على المدخل (علم تاريخ الكتب)، فلمَّا لم تعتبر تأخر مدخل: علم التعمية عن مدخل: علم تاريخ الكتب.

ب- الاعتبار، أي حسبانها عند الترتيب، وهو ما يفسر لنا ترتيب المداخل التالية (٢٨٧):

- علامات السقط/ وعلامات الضبط/ وعلامات حروف العطف، إذ لو لم تعتبر في الترتيب، لتغير الترتيب عند قصد إسقاطها من الاعتبار كما يلي:

- علامات حروف العطف/ وعلامات السقط/ وعلامات الضبط!

أما **البنية الصغرى**، فيقصد بها معلومات التعليق على المداخل، وهي تبعًا لما ذكره هارتمان وجريجوري جيمس في معجمهما عن مصطلحات صناعة المعجم:
Dictionary of lexicography, ص:٩٤



وقد تفاوتت العناية بمجموع هذه المعلومات من تعليق لآخر.

أما معلومات التعليق على الشكل، فقد اطردت العناية بالمعلومات التالية:

أولًا: الهجاء، أو هجاء المداخل، وهو ما نهض به تطبيق تقنية التمثيل الصوتي Transcription أمام كل عدد من المداخل، وهي تقنية تعين على النطق الصحيح للمداخل،

كما في (خط الحواشي وخط الديواني، ص ٢٠٤)، على سبيل المثال، وهذه الطريقة نهضت بمعلومات الهجاء والضبط معًا.

ثانيًا: نظرًا للطبيعة الموسوعية لهذا المعجم / الدليل من جانب، ولسبق العناية بمعلومات البنية (الصرفية) في تقاليد المخطوط العربي: معجم المصطلحات، فلم يُعن بها في هذا العمل المرجعي، على اعتبار أن العملية: التقاليد / والمَراجع ، بمثابة عمل واحد موسع في ما يبدو !

أما معلومات التعليق على المعنى فقد جاءت مكتنِزة وافية إلى حد كبير تضمنت ما يلي:

أولًا- تعريف المداخل: وقد استعمل آدم جاسك في الغالب نوعين من التعريفات والشروح وهما:

أ-طريقة الشرح بالمحكم، وهي طريقة تنهض بشرح المداخل بجمع سماتها الدلالية الفارقة والمميزة لمدخل عن الآخر، وهي الطريقة التي تعلي من شأنها برامج بيان طرق شرح المعنى في المعجمية المختصة.

ب- طريقة الشرح بالموضحات البصرية، من رسوم وخطوط وصور.

ثانيًا- معلومات التأثيل Etymology: لقد انشغل المعجم / الدليل في بعض الأحيان ببيان معلومات التأثيل لعدد من المداخل، تكشف عن تطور دلالات استعمالها على ما نرى مثلًا في تأثيل المدخل (حرد المتن= Colophon)

حيث كشف أنها تطورت من معنى: المقاتلين البواسل الذي لا يتوقفون في المعارك عن القتال حتى تضع الحرب أوزارها (ص١٦٤)، «ثم أجريت عليها تعديلات أخيرة وصارت تستخدم في وصف الكلمات التي تكون في نهاية الكتب»!

[وانظر كذلك: كبيكج ص٣٠١].

ثالثًا- معلومات مستوى الاستعمال Usage able: كان مع تداخل عدد من الانتماءات المعرفية التي تحيط بمصطلحية علم المخطوط العربي، وتنوع فروعه كذلك، من مثل : علم الخطوط القديمة، وعلم الختوم، وعلم الزخرفة أن يحرص المعجم/ الدليل في كثير من الأحيان على النص في التعليق على المداخل على معلومات مستوى الاستعمال التي تعين على تحصيل دلالات المدخل موضع التعليق، بكلمة مفتاحية كاشفة عن الانتماء المعرفي الدقيق للمدخل في أثناء تعريفه وشرحه أو من خلال الإحالات المجاورة للمدخل، فمثلًا تعيّن الانتماء المعرفي للمدخل (اللسان= flap) إلى الانتماء المعرفي الفرعي المتعلق بتسفير الكتب وتجليدها من خلال مؤشرين هما: (ص٣٦٦):

أ-مؤشر الإحالات المتداخلة المجاورة، حيث أحال آدم جاسك في بداية التعليق على مدخلي: تجليد الكتب / وأغلفة الكتب.

ب- مؤشر قيود التعريف والشرح، حيث استعمل القيود التالية في التعريف: (الغلاف/ والتجليد/ وخزم/ وسير جلدي)!

وقد اطردت معلومات هذا النوع من التعليق - أقصد التعليق على المعنى - بصورة واضحة؛ لأنها المسؤولة عن النهوض بتعريف المداخل، وتعيين ماهياتها، وبناء التصورات عنها.

وهو ما كان مغايرًا لمعالجة معلومات التعليق على الشكل التي جاءت غير مطردة ، ولا مستوعبة لمداخل المعجم/ الدليل جميعًا.

٣/٢: ملاحق المعجم

ضم هذا المعجم في أصله الإنجليزي خمسة ملاحق تقلصت إلى أربعة في النسخة المترجمة إلى العربي هي:

أ. الملحق الأول: اختصارات عامة غير مصنَّفة في المخطوطات العربية.

ب. الملحق الثاني: أشكال الحروف العربية الرئيسية من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط.

ج. الملحق الثالث: الدليل البيليوجرافي.

د. الملحق الرابع: وصف المخطوط.

وقد أسقط المترجم، كما تقدم ذكره، الملحق الخامس الخاص بآيات الذكر الحكيم، وزاد ملحقًا أو كشافًا لمصطلحات المعجم (إنجليزي / عربي).

وأهمية هذه الملاحق واضحة في تعميق مادة المعجم / وتوضيح كثيرٍ من المسائل المتعالقة معها.

٣- المرجع في علم المخطوط العربي (المصادر والتوثيق)

كان مما أثبته مراجع الترجمة العربية وعدَّه من مميزات المعجم / الدليل - وهو كذلك - التزام التوثيق، يقول (ص١٠ج): « اتسمت المادة العلمية بالتوثيق والإحالة على المصادر والمراجع».

وهي سمة ترقى بقيمة المعجم / الدليل ولا شك. وقد جاء منهج التوثيق في النسخة الإنجليزية في داخل المتن في سياق التعليق على المداخل.

وفصلها المترجم في الهوامش السفلية بعد نهاية التعليق على كل مدخل، بالمكونات التالية:

أ. اسم المؤلف

ب. سنة طبع المصدر/ المرجع.

ج. المؤشر المكافئ لموضع الاستشهادات المرجعية (أرقام الصفحات).

وفي أحيان أخرى أقل كثافة ترد الاستشهادات المرجعية وفقًا لما يلي:

أ. عنوان المصدر / المرجع.

ب.الطبعة.

ج. المؤشر المكاني(أرقام الصفحات).

وقد تنوعت مصادر هذا العمل المرجعي، وتوزعت على المجموعات التالية:

أولًا: معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي السابقة عليه، ككتاب : تقاليد المخطوط العربي، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنبين، وكتاب موزيرل: مصطلحات علم المخطوط: (ص٤٩٤) Vocabularie codicologique

ثانيًا: كتب علوم المخطوط العربي التراثية والحديثة المختلفة، من تجليد، ووراقة، وصناعة الكتابة، والأقلام والأحبار.

ثالثًا: كتب أخرى متنوعة من مكْملات التأليف، من كتب التاريخ، والفهارس، واللغة.

وقد نهضت هذه المصادر والمراجع بعدد من الوظائف التالية:

أ. الوظيفة البنائية التأسيسية، أي بناء المعجم/ الدليل، وتكوين مادته، من المداخل والشروح والتعليقات عليها.

ب.الوظيفة الاستدراكية، أي تكملة ما جاء ناقصًا غير تام في ما سبقه من أعمال مرجعية.

ج. الوظيفة التصحيحية، أي تصويب ما كان مستقرًّا ينظر إليه على أنه من حقائق الحقل المعرفي، ثم اتضح مع وجود الاكتشافات والنماذج عدم صحتها، مما استدعى تصحيحها.

د. الوظيفة التدعيمية، التوضيحية، وهو ما قامت به المصادر والمراجع التي من

نوع المجموعات الفنية، (الكتالوجات) ومصادر الرسوم والخطوط والصور، حيث دعمت الشروح اللغوية أو القولية ووضحتها، وارتقت بوظيفتها وعمَّقت المحصَّل من تصوراتها.

٤- المرجع في علم المخطوط العربي (مقالة في خطاب الوظائف)

بيَّن آدم جاسك في فقرة من مقدمته لهذا المعجم / الدليل بعض الغايات التي قصد إلى تحقيقها عندما قال (ص١٩) : «وبعد هذا كله، من الواضح أن هذا الكتاب (المرجع في علم المخطوط العربي) يمكن عدُّه - في أحسن الأحوال - ملخصًا عامًّا لمختلف العناصر والظواهر التي تعنى بها دراسات المخطوط العربي. إن التصور الذي وضع عند تجميع مادة هذا الكتاب، لم يكن يهدف إلى أن يكون دليلًا شاملًا لظواهر علم المخطوطات العربية (Codicological) وعلم خطوطها القديمة (Palaeographical)، ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين الذين غالبًا ما تنتابهم الحيرة أو الرهبة - في بعض الأحيان - من هذا العالم الغامض من المخطوطات واللغة التقنية المستخدمة فيه».

وتحليل مادة هذا المعجم / الدليل تكشف عن توخِّيه تحقيق مجموعة من الوظائف، يمكن رصد أظهرها في ما يلي:

أولًا- الوظيفة المعرفية: إن هذا المعجم / الدليل - بنصِّ صانعه - يستهدف خدمة المعرفة في حقل علم المخطوط العربي، بتحرير مفاهيمه، وبيان معلوماته، وتطورها، وهو بهذا يسهم في تعميق العلم بحقائق هذا الحقل المعرفي، ومسائله، وتطويرها، وتفسير كثير من النصوص التي وردت إلينا في الأدبيات التراثية المتداخلة مع علوم المخطوط العربي، ولا سيما مع وجود الرسومات والموضحات البصرية التي تسهم في توضيح كثير من الحقائق التي كانت غامضة أو ملتبسة.

ثانيًا- الوظيفة التأريخية: إن عناية هذا المعجم/ الدليل بالتأريخ لكثير من المفاهيم والتصورات وتطورها في الحياة العلمية العربية الإسلامية، تحقق الوظيفة التاريخية التي تكشف عن المراحل التي مرت بها كثير من التقنيات في حقل هذا العلم، وما تعرضت له كثير من هذه التقنيات من تطورات، وتعديلات .

وهو من هذا الجانب يعد معجمًا موسوعيًا ذا صبغة تاريخية بسبب عنايته بتتبع تاريخ كثير من المفاهيم وتطوراتها على امتداد التاريخ منذ ظهور المفهوم حتى استقراره بعد مراحل تاريخية عديدة.

ثالثًا- الوظيفة الحضارية: يقدم هذا المعجم/ الدليل من خلال عنايته المتجاوزة عددًا من المعلومات التي تسهم في خدمة الوظيفة الحضارية التي طالت المستويات والمجالات التالية:

أ. مجال الأدوات الكتابية (الأقلام/ والمحابر/ والأوعية المادية وغيرها).

ب.مجال الفنون والزخرفة والتزيين والرسوم وأدواتها وألوانها وموادُّها المستعملة فيها، وأشكالها وأنظمتها المختلفة.

ج. مجال الخطوط المختلفة.

د. مجال أدوات التسفير والتجليد، وطرقه المختلفة.

إن هذا المعجم/ الدليل يكشف عن تعانق ثلاثة ملامح ظاهرة في صناعة المخطوط العربي، بما هو مُجْلًى للتطور الحضاري الذي حققه العربي المسلم على امتداد التاريخ، وهي الملامح التالية:

أ. القوة والصلابة والمتانة التي تمتَّع بها المخطوط في الغالب.

ب.المنفعة، والفائدة التي قصدها الصانع القديم لمستعمل المخطوط.

ج. الجمال الذي أحاط به صناعة المخطوط العربي من طريق التزيين والزخرفة والرسوم... إلخ.

وهذه الملامح الثلاثة ناتج طبيعي للتصور الإسلامي للحياة التي نحرص عليها جميعًا.

رابعًا- الوظيفة اللسانية: يعد هذا المعجم / الدليل بما ضمَّه من مصطلحات، نموذجًا جيدًا يعكس مرونة اللسان العربي واستجابته لمتطلبات العلوم في الحقول المختلفة، سواء على مستوى الترميز الداخلي الذي يستجيب للتوليد بالطرق المختلفة أو على مستوى الترميز الخارجي بالاقتراض من اللغات الأجنبية، ثم تعريب ما يقترضه اللسان العربي.

وهو ما تجلى في ظهور مصدرين لسانين أسهما في تكوين مصطلحية علم المخطوط العربي، هما:

أ. المصدر اللساني العربي (المصادر الأثيلة).

ب. المصدر اللساني الأعجمي (المصادر الدخيلة).

كما تجلى أمر هذا المرونة والاستجابة في تنوع أنماط المصطلح الكوديكولوجي من المنظور الشكلي على الأنماط التالية:

أ. النمط الاختزالي (المختصرات) مثل: م=متن.

ب. النمط البسيط (المصطلح الكلمة الواحدة) مثل: الجمع/الورقة ... إلخ.

ت. النمط المركب/ المعقد، بأشكاله المختلفة، سواء كان من نمط المركبات الإضافية/ والوصفية/ والعصفية، أم المركبات الإسنادية؛ مثل: رواية الكتاب/ والألفبائية العربية/ والاختصارات ورموزها/ والوقف: بباباته وحججه ... إلخ.

خامسًا- الوظيفة التعليمية: هذه الوظيفة تأتي من طبيعة هذا العمل المرجعي بما هو وسيلة مساعدة للطلاب على تحصيل حقائق العلم، ومسائله، وتصوراته، وهي الوظيفة التي صرح آدم جاسك باستهدافها في مقدمته (ص١٩)، كما مر بنا.

سادسًا- الوظيفة القومية: ويقصد بها ما يسهم به هذا المعجم/ الدليل في توطين العلم في حقائق هذا المجال ومسائله في الثقافة الوطنية أو القومية، ودعم تمكين اللسان العربي في المجالات العلمية المختصة.

٥- المرجع في علم المخطوط العربي (ملحوظات نقدية واستدراكات):

إن فحص هذا المعجم الموسوعي/دليل القارئ، يَكشف عن مجموعة من الملاحظ النقدية والاستدراكات التي تستهدف تقويمه، وتعميق مادته معًا.

١/٥: وفي ما يلي رصد لما كشف عنه تحليل مادته، وفحصها من ملاحظ:

أولًا: تردد المترجم الكريم في ترجمة النوع التصنيفي للكتاب، فعلى حين جاء على الغلاف: المرجع في علم المخطوط العربي، تردد في المقدمة غير مرة استعمال مصطلح (الدليل) (ص١٩، س١٧، ٢١).

والأولى ترجمة العنوان بالدليل، فهو: Avademecum for readers

ثانيًا: قررت الترجمة التزام وضع الوصف بالكريم بعد كل ورود للفظ القرآن، وضع الصلاة على النبي (ﷺ) بعد كل ذكر له. وهو ما لم يكن باطراد، يقول المراجع (ص١٢): «وإلى ذلك جرت إضافة صفة «الكريم» للقرآن، و(الصلاة) عند ذكر النبي ﷺ». وهو ما لم يكن مثلًا في (ص٢٤): «علم رسم كتابة القرآن في المصاحف» و«علم رموز أقوال النبي وإشاراته»!

ثالثًا: ترجم المترجم الكريم نص آدم جاسك (ص xi):

"and recourse to such sister disciplines as epigraphy inscription on hard surface, diplomatic (the study of documents including epistolography and papyrology)".

بما يكافئه فقال: (ص١٨): «والاستعانة بتخصصات مكملة، مثل تخصص النقوش (النقوش على الأسطح الصلبة) والمراسلات الدبلوماسية (دراسة) الوثائق،

بما في ذلك: فن كتابة الرسائل، وعلم البرديات)». ولعل مقصود آدم جاسك بتعبير Diplomatic هو «الوثائق» وليس المراسلات الدبلوماسية !

وهذه مجرد أمثلة لما يحتاج إلى مراجعة، وتعليق.

٢/٥: الاستدراكات

إن كثافة المداخل التي بلغت (٣٥٠) مدخلًا تكشف عن الغنى الحقيقي الذي تمتع به هذا المعجم الدليل مع تقدير العمر الزمني القصير لفقه علم المخطوط العربي في العصر الحديث.

وقد كان هذا المعجم / الدليل في حاجة إلى صناعة ملحق يستدرك ما فاته من المصطلحات التي تقع في الصَّميم من حقل الكوديكولوجي، ومما أخلَّ به هذا المعجم، وكان يلزم أن ينهض به ملحق للمستدركات، ما يلي:

أ. خلو المعجم من بعض المداخل الموسوعية المتعلقة بعناوين بعض الكتب المهمة، من مثل: أدب الكتاب / وكِتاب الكتَّاب / وصناعة الكتاب / وصبْح الأعشىٰ... إلخ. ولا سيما أن المعجم ذو سمة موسوعية اعتنىٰ بعدد من المداخل من نمط الأسماء الأعلام، كابن مقلة (ص٣٩٣) !

ب. أما بعد = (فصل الخطاب) وهي العبارة التي يختم بها استهلال النصوص التراثية، وينتقل بعدها الكاتب إلى معالجة موضوع كتابه.

ج. البري (بَرْي القلم) وهو إعداد القلم، وتجهيزه للكتابة عن طريق ضبط سنِّه بسِكين معروفة.

د. سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته)، وهي طريقة الكاتب المألوفة في كتابته، وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، وبيان أصالتها في النسبة، ويمكن أن تضاف وسيلة لبيان توثيق نسبة عناوين المصنَّفات التي تمثلها المخطوطات إلى أصحابها، إن ورد دليل يقرِّر أنهم نُسخًا من أحد مصنفاتهم بخطوطهم.

هـ. فصل الخطاب (=انظر: أما بعد).

و. فقر منتخبة: نصوص مقتبسة من نص آخر.

ز. المنظومة : نوع من التصنيف، يدون المعارف في صورة نظمية يغلب أن تكون على وزن الرجز.

ح. النسخة المجددة: وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ، ويكملها ناسخ غيره.

ط. النسخة المورثة.

ي. النسخة اليتيمة.

وثمة مداخل أخرى يمكن إلحاقها بهذا المستدرك من مثل:

تطيين الكتاب (عند ختمه بقطعة من معجون الطين)، والتعليقة.



خاتمة

وبعد، فهذه مراجعة علمية نقدية استهدفت الحفاية بترجمة هذا العمل المرجعي المهم إلى العربية. واستهدفت كذلك تحية المترجم والمُراجع والمعهد العلمي العريق الذي أصدره.

وقد كشفت هذه المراجعة عن عدد من النتائج من مثل:

أولًا: استجابة اللسان العربي لحمل مفاهيم هذا الحقل العلمي الجديد، بتنمية لغته التقنية.

ثانيًا: وعْي آدم جاسك العميق بحقائق هذا الحقل المعرفي، وإرادته تطوير مساراته، وتوجهه إلى خدمة البحث فيه بصناعة أعمال معجمية تجمع مصطلحيته وتعلق عليها.

ثالثًا: تمتع هذا العمل بعدد موفور من شروط صناعة المعجم الحديث؛ مِن تضمُّنه واجهة، وملاحق، وموضحات بصرية وترتيب لمعلومات التعليقات، وتوثيق للاستشهادات المرجعية، وإحالات على مصادر أصيلة في هذا الحقل.

رابعًا: ظهر تنوع الوظائف التي يمكن استثمار المعجم / الدليل من أجل تحقيقها، وتوطين العلم بحقائق هذا الحقل ومسائله في الثقافة العربية المعاصرة.

إن صدور هذه الطبعة المترجمة يحمل على إسداء التحية خالصة لهذا المعهد العريق الذي نهد بعبء هذا الإصدار المهم الذي سيسهم في خدمة هذا الحقل المعرفي الخطير وتطوير البحث فيه، كما يحملنا صدور هذا الكتاب على شكر كل من أسهم في هذه الترجمة العربية.

●○●